

﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ . . . فأنتن أحرى من يُذكر فيتذكر، لنزول الوحي ابتداءً في بيوتكن، ولانتسابكن إلى النبي ﷺ فلكن ضعف الثواب وضعف العذاب، ثم: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ . . . هذه الصفات الكثيرة الغزيرة التي جمعت في هذه الآية تتعاون في تكوين النفس المسلمة.

وتلك هي عشرة كاملة، لا بد أن تكون عشيرة المسلمين على درجاتهم، من إسلام وإيمان وقنوت وصدق وصبر وخشوع وتصديق وصيام وحفظ للفرج وذكر الله كثيراً: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ﴾ كلهم ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

والخطوة الأولى هي الإسلام الاستسلام أمام الله، إقراراً باللسان، ثم الإيمان تصديقاً بالجنان، ثم القنوت الطاعة الناشئة من الإيمان، ثم صدق في الطاعة والإيمان، ثم صبر على أخطار الصدق والإيمان، ثم خشوع في الجنان يربط كل جوانب الإنسان، ثم تصديق في هذه السبيل بمال أو حال أو مقال على أية حال، ثم صيام في شهر الصيام وفي كل مجال، ثم حفظ للفرج عما يجب حفظه، ثم ذكر الله كثيراً في قال وحال وأعمال.

إنه لا فرق بين قبيلي الرجال والنساء في فضيلة الأعمال أم رذيلتها، مهما كان ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> حيث القوامه هنا غيرها هناك في يوم الحساب، فرب قائم بامر، ولي على أمر يرجع عليه المولى عليه لرجاحة الأعمال.



(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

إن تزويج زينب بنت جحش من زيد بن الحارثة ومن ثم تزويجها من رسول الله ﷺ يحمل بعدين عميقين من أبعاد التربية الإسلامية، فأول البعدين هو تحطيم الفوارق الطبقيّة وحتى بين الأحرار والعبيد، فيزوج النبي ﷺ مولاه زيدا من شريفة بني هاشم بنت عمته، ليُسقط هذه الفوارق أولاً بنفسه وفي أسرته، ثم يتزوجها هو ﷺ ليحطّم عملياً سنة التبني وحرمة الزواج بحليلة المتبني، ولم يكن ليكتفي في تحطيم هذين الصرحين الجاهليين بالقول فقط أم فعلٍ من غيره، فليدخل هو بنفسه في الميدان ليؤتسى به في الأمة الإسلامية مع الأبد.



لا قِبَلْ لَهُ، والانتهاه به قضية أصل الإيمان، وإلا فلا إيمان ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ . . . و﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ يستأصل كون أية خيرة لهم إلا ما قضاه الله ورسوله، وحتى إذا كانت خيرة الاستثمار من أنفسهم أو الشورى بينهم، ثم اختيار ما قضاه الله ورسوله!

فأدنى درك من العصيان هو خيرة كهذه التي توافق قضاء الله، وأسفل دركٍ منه بدار العصيان دونما تفكير، وأوسطه العصيان بعد استثمار أو شورى، و﴿الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ تستأصل الثلاثة، ثم لا تبقى إلا الطاعة المطلقة دونما خيرة من أمرهم في جانحة ولا جارحة، وإنما مطلق الاستسلام! ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ تشمل الثلاثة ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ مهما اختلفت دركات الضلال والعصيان!

إن قضاء الله كوشي خاص في تشريع يحمله رسول الله في بلاغ الشريعة ثم قضاءه كوشي عام قضاءً لرسول الله كولي لأمر الأمة بما أراه الله، هو ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ فـ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿٣﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ (١) مهما كان بلفظ القرآن أو السنة، أو كان حكماً سياسياً أماذا من أحكام، فـ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (٢)!

و«إن كنت لا تطيع خالقك فلا تأكل رزقه، وإن كنت واليت عدوه فاخرج من ملكه، وإن كنت غير قانع برضاه وقدره فاطلب رباً سواه»! (٣) «يقول الله: من لم يرض بقضائي ولم يؤمن بقدري فليلتمس إلهاً غيري» (٤)

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤ .

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١ .

(٣) نور الثقلين ٤: ٢٨٠ ح ١٢٣ في كتاب التوحيد بإسناده إلى الأصغر بن نباتة قال قال أمير المؤمنين عليه السلام . . .

(٤) المصدر ح ١٢٤ فيه بإسناده إلى الحسين بن خالد عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله جل جلاله: . . .

وقال رسول الله ﷺ: «في كل قضاء الله عز وجل خيرة للمؤمن»<sup>(١)</sup>.

فالله يقضي زواجاً بين قريبة الرسول الشريفة في قومها وبين عبده قضاءً على سنة الفوارق ولا خيرة إذاً دون خيرة الله! ثم الله يقضي زواج رسوله بحليلة دعيه قضاءً على سنة جاهلية أخرى وفارقة أخرى فارغة كما الأولى، وليس للمؤمنين إلا التسليم لقضائه! والله يقول الحق وهو يهدي السبيل! ولا سبيل مستقيماً إلا الاستسلام المطلق أمام قضائه دون اختلاج خالجة في ضمير، ولا سيما في الأفضية التي تتبنى الإسلام، أصولاً يؤتسى بها على طول الخط، ولا بد من تجاوب من الأمة مع الرسول ﷺ في تبني صرح هذه الرسالة السامية. فإن يداً واحدة لا تصفق!.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾:

هذا زيد بن حارثة ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالتربية المحمدية قبل الإسلام وبالإيمان بعده وأنكحه شريفة بني هاشم بنت عمه النبي ﷺ ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ في أحضانه بتربية صالحة وعتقه وإنكاحه بنت عمك وهي ترغبك دونه!. تقول له بعد منازعة مستمرة بينه وبينها ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وقضى الله إطلاقها لينكحك إياها هدماً لسنة جاهلية ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ وكان تقواه طلاقها في الواقع مهما كانت إمساكها في الظاهر ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ من فرض زواجها لك بعده كما أبداه في إذاعة قرآنية ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾... وليس مما أخفاه ﷺ في نفسه أنه عشقها رغبة الجنس لما رآها تغتسل كما اختلق

(١) المصدر ح ١٢٥ وقال رسول الله ﷺ: ...

عليه! ويشهد له ﴿مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ وما أبدى الله إلا أصل الزواج ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾!

﴿وَتَخَشَى النَّاسَ﴾ إن أبديت أمرك فيها أن يقولوا طمع في حليلة دعيه، كما انطلقت السنة المنافقين: «تزوج حليلة ابنه»! ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ في تحقيق قضائه، دون أن تخشى الناس في خشيته، فإنما خشية بلا وسيط! .

أترى الرسول ﷺ في هذه المعركة الصاخبة خشى الناس ولم يخش الله؟ وهو أخشى الله من كل ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ وهو أبلغ من ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ فأخشاهم الله فإنه ﴿أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ (١)؟ .

إن خشية الله خشيتان، خشية عن طريق الناس وقد خشيه عنهم فأخفى في نفسه ما الله مبديه، لكيلا يمس من كرامة رسالته بما يتقوله الناس، وكما خشيمهم في بلاغ رسالة الولاية ﴿يَلِّغُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ . . . (٢) . وخشي أزواجه في قصة مارية فحرمها على نفسه خشية تظاهرهن عليه ﴿لَمْ تُحْرِمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْصَاتِ أَزْوَاجِكَ﴾ (٣)؟ فأمنه الله عما يخشاه: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (٤) في بلاغ الولاية ﴿وإن تظاهراً عليه فإن الله هو موله وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ (٥) في مارية ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ في زينب .

فقبل أن يؤمنه الله بأس الناس ما كان ليأمنهم أن يمسا من كرامة رسالته، وكان عليه حفاظها تقدماً للأهم على مهمه، ثم الوحي الحبيب من

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨١ .

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧ .

(٣) سورة التحريم، الآية: ١ .

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٧ .

(٥) سورة التحريم، الآية: ٤ .

الحبيب آمنه بأسهم، فنقله من خشيته تعالى من طريق الناس، إلى خشية خالصة لا وسيط لها ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾!

فذلك - إذاً - انتصار له في صيغة عتاب ولا عتاب، فإنه يبرأ ساحتها الرسالية في هذه الإذاعة القرآنية عن كافة التقوُّلات الموجهة إليه: إنه رآها فأعجبته<sup>(١)</sup> أما ذا من هرطقات جاهلية وهُراءات عراء وساحة الرسول منها براء!.

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (٣٧):

لقد كان لزيد منها وطراً: نهمة وحاجة مهمة، قضاءً على سنة جاهلية في التفاخر بالأنساب، ووقاءً لشهوة الجنس، والأول مقضي بمجرد الزواج ولكنما الثاني باق ما بقي صاحب الجنس في إربته، ثم ولا يحل لزوجته زواج آخر ما دامت في حبالته وإن قضيت إربته، فكيف ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾

إن نهمة الجنس وشهوته قد تنقضي بطبيعة الحال ولم تنقض من زيد وهو في شبَّ الشباب، وزوجه شريفة جميلة! وقد يقضيها هو بأسباب أخرى

(١) في نور الثقلين ٤: ٢٨٠ ح ١٢٧ عن أبي جعفر الباقر عليه السلام فيما رواه القمي عن أبي الجارود عنه عليه السلام في الآية وساق القصة إلى: ثم إنهما تشاجرا في شيء إلى رسول الله فنظر إليها رسول الله فأعجبته . . .

وفيه ح ١٣٠ عن الإمام الرضا عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قصد دار زيد بن حارثة في أمر أراده فرأى امرأته تغتسل فقال لها: سبحان الله. الذي خلقك . . . فلما عاد زيد إلى منزلة أخبرته امرأته بمجيء الرسول وقوله لها فلم يعلم زيد ما أراد بذلك فظن أنه قال ذلك لما أعجبه من حسن فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله إن امرأتي في خلقها سوء وإني أريد طلاقها فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أمسك عليك زوجك واتق الله . . .

أقول: إنهما ولاسيما الثاني مختلق على الرسول صلى الله عليه وآله فلو أراد زوجها شهوة لبادر إليها قبل تقديمها لزيد وقد كانت تريده صلى الله عليه وآله ثم كيف يدخل الرسول بيتاً دون استئناس من أهله لحد يرى امرأة أجنبية تغتسل فتعجبه ويقول مقالته؟!!

ولم تنقض، من عدم الوفاق لحد ينجر إلى الفراق فذلك قضاء وطر أول نهمّة وشهوة، أن يطلقها في طهر لم يواقعها فيه، فلو لم يقض وطرأ منها لم يطلقها، ثم إن بقي له وطر منها راجعها في عدتها ولم يراجعها! فقد قضى منها وطرأ ثانياً وأخيراً إذ سرّحها دونما رجعة: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ حيث تم الزواج إذ تم قضاء الوطر بتمام العدة!

فهناك للزوج وهناك للزوج أوطار أخرى كحاجة وتمائلة إلى زوجه بعد الطلقة الثانية، ثم بعد الثالثة بمحلل حيث يعقد عليها بعده، ثم وطر بعد وطر حتى تبلغ الطلقات تسعاً بمحللين ثلاثة، ولا وطر له بعد الطلقة التاسعة حيث تتحقق بها الحرمة المؤبدة.

وأولى الأوطار التي يحل فيها زواجها بزواج آخر هي في الطلقة الأولى بمضي عدتها دون رجعة منه في الرجعية أو منها في المختلقة والمبارأة حين يقبل رجوعها.

﴿وَطَرًا﴾ هنا مطلق يشمل قبل الطلاق وبعده ولما تخلص العدة، ويقيده بخلاص العدة قبل الرجعة آيات الرجعة، والمطلقة رجعية زوجة، فلا يحل لها زواج آخر ما دامت في العدة.

وهنا نرى الرسول وهو مأمور بزواجها لنفسه لا ينكحها بنفسه حتى يزوجه الله إياها: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾<sup>(١)</sup> وإن كان يخطبها في ظاهر الأمر<sup>(٢)</sup> . . . . .

(١) في الدر المنثور ٥ : ٢٠٢ - أخرج الحاكم عن الشعبي قال : كانت زينب تقول للنبي ﷺ : أنا أعظم نسائك عليك حقاً أنا خيرهن منكحاً وأكرمهن سترأ وأقربهن رحماً وزوجنيك الرحمن من فوق عرشه وكان جبرائيل عليه السلام هو السفير بذلك وأنا بنت عمك ليس لك من نسائك قرية غيري .

(٢) يروي الإمام أحمد ومسلم والنسائي من طرق عن سليمان بن المغيرة عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة : « اذهب فاذكرها علي » فانطلق حتى =



وقد كانت تفتخر على سائر أزواجه ﷺ بزواجها الإلهي (١)!. .

ولماذا ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ أَلْحِظُوا الجنس فقط؟ وقد كان له أن يتزوج بها قبل أن يزوجه لغلामه ولم يفعل وهي راغبة إليه ﷺ! أترى الشريفة القريبة إلى النبي ترجح غلامه ﷺ عليه، ثم النبي يرجح ثيبة غلامه على البكر؟! .

فإنما ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ لسياسة رسالية: «لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً» قضاءً على سنة عريقة جاهلية هي حرمة حلائل الأدعياء اعتباراً أنهم أبناء ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ ما كان يُقضى عليها إلا عملاً جاهراً من الرسول نفسه وقد فعل بأمر الله ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ .

فقد قضى الرسول ﷺ على جاهلية الفوارق الطبقية في بعدي تزويجه شريفة بعبد، ثم تزويج زوجة عبده لنفسه، ومن ثم جاهلية حرمة حلائل الأدعياء قضاءً على كونهم أبناء، ولم يكن إبطال هذه الآثار الواقعية في حياة المجتمع ليمضي بسهولة، حيث التقاليد الاجتماعية أعمق أثراً في النفوس

= أتاها وهي تخمر عجينها قال: لما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها وأقول إن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري ونكحت على عقبي وقلت: يا زينب أبشري أرسلني رسول الله ﷺ بذكرك قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي ﷺ فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن.

(١) في الدر المنثور ٥: ٢٠٣ - أخرج الطبراني والبيهقي في سننه وابن عساكر من طريق الكميت ابن يزيد الأسدي قال حدثني مذكور مولى زينب بنت جحش قالت: خطبني عدة من أصحاب النبي ﷺ فأرسلت إليه ﷺ أخي يشاوره في ذلك قال ﷺ: فأين هي ممن يعلمها كتاب ربها وسنة نبيها؟ قالت: من؟ قال ﷺ: زيد بن حارثة فغضبت وقالت تزوج بنت عمك مولاك ثم اتنني فأخبرتني بذلك فقلت أشد من قولها وغضبت أشد من غضبها فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ . . .﴾ [الأحزاب: ٣٦] فأرسلت إليه زوجني من شئت فزوجني منه فأخذته بلساني فشكاني إلى النبي ﷺ فقال له: إذا طلقها فطلقني فبت طلاقني فلما انقضت عدتي لم أشعر إلا والنبي ﷺ وأنا مكشوفة الشعر فقلت هذا أمر من السماء دخلت يا رسول الله بلا خطبة ولا شهادة؟ قال: الله المزوج وجبريل الشاهد.

من أن نزول بسنّ القوانين المجردة، إلا أن يسنها ويطبقها الرسول عملياً في نفسه، ويواجه المجتمع بهذه العملية الصارمة التي لا يستطيع أحد أن يواجه بها ذلك المجتمع الصلد العارم!

يأتيه ﷺ زيد مرة بعد أخرى يشكو اضطراب حياته الزوجية، والرسول ﷺ يحمل أمر الله في تزويجها لنفسه، ولكنه يحسُّ ثقل التبعة إن أظهر أمره - على نفاذ رسالته، فهو على شجاعته في مواجهة قومه في أمر أمر من العقيدة المضادة لما يعتقدون، دون أية لجلجة ولا خشية، إذ ما كانت لتمس من ساحة رسالته، نراه هنا متلجلجاً يخشاهم على رسالته خشيةً من ربه أن تتهدم أركان دعوته بما يتوقعه من مجابهة عنيدة في هذه المواجهة فيقول: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ فأخفى في نفسه فعلاً ما الله مبيده، ويعلم أن الله مبيده، ولكن أين إبداء محمد من إبداء الله؟ إذ هم ليسوا ليعارضوا الله ويتهموه! مهما تجاسروا على معارضة رسول الله ﷺ، إذ جاء وحي حبيب من الحبيب يُطمئنه بعصمته من بأسهم فنقله من خشيته تعالى بهم إلى خشيته في تعميتهم، فمهما كان حقاً لك أن تخشى الله احتراساً عن الناس حراساً على رسالتك، فالله أحق أن تخشاه إذ يطمئنك عن بأس الناس، فهو الذي أمرك بتحقيق أمره العجيب الإمر، حملاً لأعباء الرسالة مهما كانت ثقيلة: ﴿إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾<sup>(١)</sup> وهو الذي يلقي في قلب الزوجين عزيمة الفراق، وهو الذي يزوجك زوجة زيد بعد ذلك الفراق، بولاية قاطعة لا مرد لها ودونما استمارة واستئثار منكما ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ فهو الخاطب لك وهو المجري صيغة الزواج، فيدخل عليها الرسول بمجرد نزول الآية ودونما استئناس، وكانت هذه إحدى ضرائب الرسالة الباهظة التي حُمِّلها فحملها في مواجهة المجتمع الذي كان يكرهها ويتقوّل فيها كما تقوّل

(١) سورة المزمل، الآية: ٥.